تفسير إبن كثير

أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ ۖ قُلْ فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّثْلِهِ وَادْعُوا مَنِ اسْتَطَعْتُم مِّن دُونِ اللَّهِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ

وقوله : (أم يقولون افتراه قل فأتوا بسورة مثله وادعوا من استطعتم من دون االله إن كنتم صادقين) أي : إن ادعيتم وافتريتم وشككتم في أن هذا من عند االله ، وقلتم كذبا ومينا : " إن هذا من عند محمد " ، فمحمد بشر مثلكم ، وقد جاء فيما زعمتم بهذا القرآن ، فأتوا أنتم بسورة مثله ، أي : من جنس القرآن ، واستعينوا على ذلك بكل من قدرتم عليه من إنس وجان .وهذا هو المقام الثالث في التحدي ، فإنه تعالى تحداهم ودعاهم ، إن كانوا صادقين في دعواهم ، أنه من عندمحمد ، فلتعارضوه بنظير ما جاء به وحده واستعينوا بمن شئتم وأخبر أنهم لا يقدرون على ذلك ، ولا سبيل لهم إليه ، فقال تعالى : (قل لئن اجتمعت الإنس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا) [الإسراء : 88] ، ثم تقاصر معهم إلى عشر سور منه ، فقال في أول سورة هود : (أم يقولون افتراه قل فأتوا بعشر سور مثله مفتريات وادعوا من

استطعتم من دون االله إن كنتم صادقين) [هود : 13] ، ثم تنازل إلى سورة ، فقال في هذه السورة : (أم يقولون افتراه قل فأتوا بسورة مثله وادعوا من استطعتم من دون االله إن كنتم صادقين) وكذا في سورة البقرة - وهي مدنية - تحداهم بسورة منه ، وأخبر أنهم لا يستطيعون ذلك أبدا ، فقال : (فإن لم تفعلوا ولن تفعلوا فاتقوا النار) الآية : [البقرة : 24] .هذا وقد كانت الفصاحة من سجاياهم ، وأشعارهم ومعلقاتهم إليها المنتهى في هذا الباب ، ولكن جاءهم من االله ما لا قبل لأحد به ، ولهذا آمن من آمن منهم بما عرف من بلاغة هذا الكلام وحلاوته ، وجزالته وطلاوته ، وإفادته وبراعته ، فكانوا أعلم الناس به ، وأفهمهم له ، وأتبعهم له وأشدهم له انقيادا ، كما عرف السحرة ، لعلمهم بفنون السحر ، أن هذا الذي فعله موسى ، عليه السلام ، لا يصدر إلا عن مؤيد مسدد مرسل من االله ، وأن هذا لا يستطاع لبشر إلا بإذن االله . وكذلك عيسى ، عليه السلام ، بعث في زمان علماء الطب ومعالجة المرضى ، فكان يبرئ الأكمه والأبرص ، ويحيي الموتى بإذن االله ، ومثل هذا لا مدخل للعلاج والدواء فيه ، فعرف من عرف منهم أنه عبد االله ورسوله ؛ ولهذا جاء في الصحيح ، عن رسول االله صلى االله عليه وسلم أنه قال : " ما من نبي من

الأنبياء إلا وقد أوتي من الآيات ما آمن على مثله البشر ، وإنما كان الذي أوتيته وحيا أوحاه االله إلي ، فأرجو أن أكون أكثرهم تابعا .